

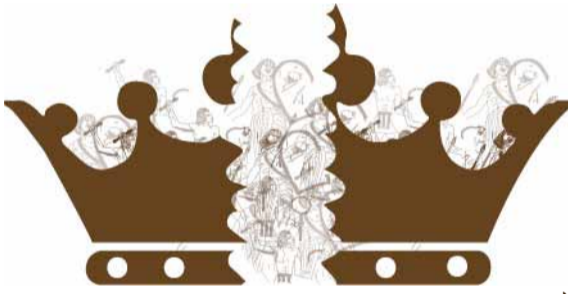
الثورة الشعبية الاجتماعية



تفككت وحدة البلاد في أواخر عهد الأسرة الفرعونية السادسة في الفترة ما بين ٢٣٥٤ ق.م إلى ٢١٨١ ق.م مما أدى إلى إنهاء تلك الأسرة. وكان في هذا نهاية لحكم الدولة القديمة. ويروي لنا التاريخ قصة ثورة شعبية إجتماعية وقعت في أواخر عصر الدولة القديمة وبدأت على انقاضه الدولة الوسطى بوصول الأسرة الفرعونية الحادية عشر إلى الحكم والتي حكمت في الفترة من بين ٢٠٤٠ ق.م إلى ١٩٩١ ق.م. وهذه الثورة يطلق عليها أنها شعبية لأن فئات الشعب المصري البائسة وهي أغلب الأفراد التي قامت بها وليس أقلية. كما أنها ثورة إجتماعية بحسبان أن هدفها الأول كان تغيير الأوضاع الإجتماعية السيئة ولم تهدف إلى تحقيق هدف سياسي فلم يكن من مآربها تغيير نظام الحكم الملكي. كما أنها لم تكن تطمح في الإستحواذ على السلطة بأي حال من الأحوال. وتتمثل مصادر معلوماتنا عن الثورة في عدة برديات تبين حال البلاد وما وصلت إليه من فوضى أثناء قيام الثورة.

أسباب قيام الثورة الشعبية الاجتماعية:

توقيت الثورة:



١ - ضعف السلطة

من أهم أسباب الثورة بل لعله السبب المباشر والتي تولدت عنه بقية الأسباب هو ضعف السلطة المركزية. هذا الضعف الذي كان مرده إسراف الملوك في

المنح والإمتيازات مما مهد لقيام النظام الإقطاعي وإستقلال حكام الأقاليم ونتج عنه إهتزاز صورة الفرعون الإله، فالسلطة الملكية كانت تمثل في عقيدة الفراعنة مصدر الحياة ذاتها، فالملك الإله هو رمز الخير ومصدره وواهب الحياة وضابط المياه وكما قيل عنه " النيل في خدمته إنه ليفتح كفيه ليمنع مصر الحياة " وبالتالي فإن إهتزاز سلطة الفرعون كان سيترتب عليه لا محالة إهدار النظام السياسي والإجتماعي والديني، فكيان الدولة يرتبط بفكرة الملك الإله فإذا ضعف الملك الإله وتقلصت السلطة الملكية فإن هذا يعني إهتزاز البنيان وتقويضه من أساسه وبالتالي تكون الفوضى ونزول المفاصل التي إنتهت بالثورة.

أ- فضعف السلطة المركزية ترتب عليه إستقلال حكام الأقاليم مما أدى إلى نشوء نوع من اللامركزية المتطرفة. ويعزى البعض سبب الثورة إلى هذه اللامركزية. وفي هذا يقول جون ولسون: " إن مصدر الإنهيار الحقيقي يكمن في إشتداد اللامركزية، فقد جعل هذا حكام الأقاليم يشعرون بقدرتهم الفردية على الإستقلال فأقاموا إمارات متنازعة إلى أن تصدعت مصر إلى فئات متعادية، فأضمحلال السيطرة المركزية الموحدة أدى إلى تقوى الفوضى في محاولة كل جماعة الإستئثار بالسلطة. وإذا تقوى الفوضى، ضاع الحكم. "

ب- كما أن ضعف السلطة المركزية وتناحر حكام الأقاليم عرض البلاد للتهديد الخارجي، فهناك قبائل آسيوية هاجمت مصر عبر برزخ السويس واحتلت جزءاً من الدلتا، كما تعرض الصعيد لهجوم القبائل الليبية القادمة من الصحراء الكبرى.

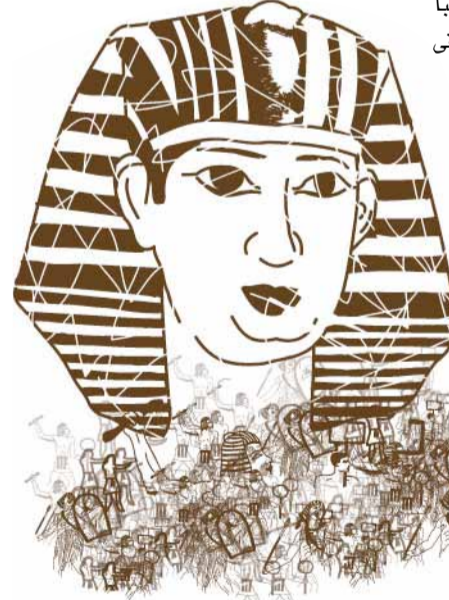
وهذا الإعتداء الخارجي أوجد حالة من عدم الثقة بالسلطة مما جعل بذرة الثورة تنمو سريعاً.

ج- ذلك فإن ضعف الملوك اضطرتهم إلى الإستعانة بالجنود المرتزقة في محاولة الدفاع عن العرش المتهاوي، وقد زاد نفوذ هؤلاء المرتزقة وحصلوا على الكثير من العطايا الملكية بحيث أصبحت خيرات البلاد نهياً مشاعاً لغير أهلها، مما ولد الكثير من المرارة في نفوس الطبقات الفقيرة من المصريين.

٢- مظاهر الفساد الجديدة

كذلك فإن من أسباب الثورة مظاهر الفساد الجديدة التي ترتبت على ضعف السلطة المركزية ومنها إنتشار الظلم وفساد نظام القضاء وطبقيته وبنوار الزراعة وكساد التجارة وتعطل الإنتاج الصناعي والحرفي والضيق المعيشي الذي صاحب النظام الإقطاعي بما يترتب من تبعية بغيضة. والخروج على مبدأ المساواة والفردية التي نعمت بها مصر في عهودها السابقة والتكرار لفضيلة العدالة التي سار على هديها الفراعنة الأوائل. كل هذه العوامل أدت إلى الإنفجار الشعبي بغية تغيير هذه الأوضاع.

ليس هناك نص يبين على وجه الدقة تاريخ قيام الثورة. ولكن من المتفق عليه أنها وقعت في العصر الإقطاعي بسبب المفاصل التي اقترنت به وهذا يعني أن تلك الثورة الشعبية الإجتماعية وقد وقعت أحداثها خلال مدة تبدأ من انتهاء حكم الأسرة السادسة وبداية حكم الأسرة الحادية عشرة. ذهب البعض إلى أن الثورة قامت بمجرد سقوط الأسرة السادسة ويحتجون بالعديد من الأسانيد منها أن التسلسل العادي للتاريخ الفرعوني قد انقطع في أعقاب الأسرة السادسة، وهذا يعني وقوع حدث غير عادي أحدث هذا الفراغ المظلم والذي يمتد إلى الأسرة العاشرة، وهذا الحدث هو الثورة. فضلاً عن أن الثورة أدت إلى إنهاء العهد الإقطاعي وهذا العهد لم ينته إلا في أواخر الأسرة العاشرة. كما أن عهد الأسرة السابعة كان غاية في الفوضى، وهذا يتلاءم مع مناخ الثورة وما أحدثته من إهتزاز كامل. كما أن منطقتي الثورات يفترض أن الثورة غالباً



ما تحدث من شعب وصل إلى درجة عالية من الرقى والتقدم وهذا هو حال الشعب المصري في أواخر العهد الفردي من الدولة القديمة أي في أواخر الأسرة السادسة. كما أن الوثائق تصف الملك وقت وقوع الثورة بأنه ملك متقدم في السن قابع في قصره ولا يغادره ولا يعلم شيئاً عما يدور حوله، وهذا الوصف يتوافق في فرعون مصر بيبى الثاني خامس ملوك الأسرة السادسة وأيضاً فإن الكتابات الأدبية التي وصفت الثورة كانت تتغنى بالرماية والتقدم والاستقرار التي كانت عليها البلاد قبل الثورة، ولا شك أن هذه الأمور لم تكن في عهود الفوضى من الأسرة السابعة وحتى العاشرة بل أن هذه الأمور كانت خلال العهد الفردي وحتى إنهاء الأسرة السادسة.

فالقول بأنه من المنطقي أن تحدث الثورة في نهاية العهد الإقطاعي لتؤدي إلى قيام عهد جديد هو عهد الدولة الوسطى قولاً غير سديد لأن العهد الإقطاعي لم ينته بنهاية الثورة سواء اعتبرنا هذه الثورة حدثت في نهاية الأسرة السادسة أو العاشرة. كل ما هنالك أنه تم التضييق منه بوضع حدود لكل إقطاعية وإلغاء نظام تبعية المزارعين للأرض، بل أن البعض يرى أن النظام الفردي الذي عاد في عهد الأسرة الحادية عشرة ظل مشوباً بنوع من الإقطاعية ولم يتحرر منها تماماً إلا في نهاية الأسرة الثامنة عشرة.